الله معنا.. وليس مع الهضيبى !

بقلم
أنور السادات

عند ما جاء الغزاة الفرنسيون الى مصر بدأ نابليون يضع عمد الاستعمار الفرنسى فى بلادنا ، ولم يجد ـ كبير الفرنسيين ـ ابرع من تجار الدين فى اقامة تلك العمد فى البلاد ، وقد سجل التاريخ على هؤلاء التجار انهم دعوا الشعب الى التزام الطاعة والتزام الهدوء والسكينة ! ـ فكبير الفرنسيس ـ عالم جليل من علماء الاسلام !!

وجنرالات فرنسا الذين بدأوا يحكمون الاقاليم رسل خير وأمان ، بعثهم الله لحفظ كيان أتباع محمد !

وعند ما انتفض الشعب ، وعند ما ظهرت طلائع ثورته على الاستعمار الفرنسى كان تجار الدين قد حددوا موقفهم تماما من هذه الثورة .. فخانوا الشعب ووقفوا الى جوار نابليون .. لكن ثورة الشعب اجتاحتهم وهى ماضية فى الطريق .. وطردت القوات الفرنسية المحتلة من البلاد بالرغم من تأييد تجار الدين لها ..

ثم عند ما جاء الاستعمار الجديد ـ الانجليزى ـ وتصدى عرابى العظيم لقواته ، فوجىء البطل بتجار الدين يؤيدون دعوى الخديو فى أن مقاومة الانجليز عصيان وخروج على الطاعة لولى الامر !!

وكتب بعضهم فى الصحف والقى بعضهم خطبا فى المساجد انهم فيها عرابى بالخيانة وبانه لم يلتزم نص القرآن الذى جاء فيه قوله تعالى : « وأعدوا لهم ... فقال هؤلاء التجار الخونة ان معنى هذه الآية هو انه كان يجب على عرابى أن لا يقاوم القوات الزاحفة على البلاد ، لانه لم يكن مستعدا !..

وهكذا كان كفاح عرابى وكانت بطولته وكان ايمانه بالشعب ـ خيانة ـ فى نظر تجار الدين والانتهازيين وعملاء الرجعية والقصر ..

وبعد أن استقر الامر للاستعمار الانجليزى كان المشعوذون وتجار الدين من بين الفئات التى اعتمد عليها ـ الاستعمار ـ فى اطفاء الجذوة المقدسة ، اى قتل الوعى بين الجماهير ووضع الغشاوات القاتمة على الاعين ، واشاعة الوهم والخنوع وفلسفة الخضوع للقدر ..

ولعب تجار الدين دورهم التاريخى فى تقوية المستعمر واضعاف الشعب ، وما كان تبجيلهم للملوك مصر وحكامها ودعوتهم الى طاعتهم الا جزءا من عملهم الاثيم فى تثبيت اركان الاستبداد والاستعمار !

الدين اذن .. استغل استغلالا شائنا فى مصر لمصلحة أعداء الشعب ، ولم يستغل ـ اطلاقا ـ للقضاء على هؤلاء الاعداء !

وفى تركيا عند ما كان سلاطين آل عثمان يستغلون الارهاب والذل والمرض والجهل بين ربوع البلاد ، وفى كل بلد خضعت لمشيئة خليفة المسلمين الفارق فى نعيم قصور يلدز .. أقول أن تركيا هذه عند ماكتب لها أن تتخلص من هذه المحنة على يدكمال أتاتورك، خرج تجار الدين من جحورهم ليعلنوا على الملا أن اتاتورك كافر وانه من عملاء الابالسة .. فبلبلوا الافكار ، وضللوا الجماهير حتى اضطر أتاتورك ـ لكى يحمى نفسه ونظامه ـ ان يتبع أسلوبا عنيفا لا يتفق مع حركته الاصلاحية ومراميها ..

كان أتاتورك مرغما لاشك على اتباع أسلوب البطش فاصبح دبكتاتورا بعد ان شعر بالخطر الذى يتهدده من جراء نشاط تجار الدين ضد دعوته التحريرية !..

وترتب على الاسلوب الجديد الذى اتبعه اتاتورك ، والذى لم يكن ضمن برنامجه أن فشلت دعوته ..

وكانت النتيجة غير ما كان يرجوه ذلك الرجل لبلاده !

لقد كان معروفا أن وراء تجار الدين فى تركيا أثناء حكم اتاتورك ايدى خفية تحركهم ليوقفوا هذا الرجل الداعى الى البعث ويحطموه ، او على الاقل ليشوهوه أمام الرأى العام الاسلامى ، حتى يبدو كمستبد باطش ، وحينئذ يمكن اطفاء المشعل الذى يحمله فلاتصبح تركيا دولة تشيع فيها المدنية والمعرفة بل يشيع فيها الظلام والاستبداد والقهر !

وقد كان ...

ونحن هنا فى مصر لا يمكن أن نسمح لهؤلاء التجار بان يكرروا المأساة .. فيوقفوا الطوفان الذى بدأ يجتاح كل الادران فى بلادنا منذ ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ .. باسم الدين !

ان الله مع الحق والعدل والحرية والعمل والمعرفة .. وليس مع حسن اسماعيل الهضيبى !..

الله مع الذين اطاحوا برأس الفساد واعادوا الارض لزراعها واخرجوا المستعمر باصرارهم وايمانهم بالشعب ، وليس سبحانه مع الذين هادنوا الفساد والاستعمار والاقطاع !

ان الله معنا وليس مع الهضيبى ...!